الخطبة الرابعة

الكِبْر والعُجب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً ملء السموات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت يا رب العالمين. اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد كله، والشكر كله، والثناء الجميل يا إله العالمين، أما بعد:

الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجب من باب الإشراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 1/ 5]، والمُعْجَب لا يحقق قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 1/ 5].

والعُجْب مذموم... قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: 9/ 25]، وقال ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مُرَجِّل جمته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة» البخاري، (إذ خسف الله به): دليل على سرعة وقوع ذلك، وفي رواية مسلم: «فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة» أي: أن يسيخ في الأرض ويندفع في شقوقها. وقال ﷺ:

«ثلاث مهلكات، شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» البيهقي.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «الهلاك في اثنتين: القنوط والعجب»، فالقانط يائس لا يعمل ولا يبذل جهداً ولا يسعى في طلب أي شيء، يرى الدنيا سوداء

مقفلة، وأما المعجب يرى أنه اكتفى، ويرى أنه قادر ومسيطر، فلا يحقق قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 1/ 5].

ومن مظاهر العجب: 1 – التكبر على الناس، 2 – احتقارهم، 3 – الاستخفاف بأعمالهم وأقوالهم، 4 – عدم طلب النصح أو الاستماع إليه، 5 – يمنن بعطائه، 6 – يتفاخر بإنجازاته، 7 – الفخر واللمز والتبسم بسخرية، 8 – التقليل من شأن الآخرين وعدم الاعتراف بإنجازاتهم، 9 – الفتور عن الطاعة؛ لأنه يستعظم نفسه وأعماله وعبادته، 10 – يتصدر المجالس ويتصدر الأقوال، 11 – ينسى فضل الله وينسى المُنعم وهذه أسوأ المظاهر وأهلكها. قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: 17/ 83]، فإذا أنعم الله على الإنسان فرح بهذه النعمة وبطر بها وتكبر بها على الناس، ويعرض عن شكر ربه وينسى المُنعم، وينأى عن ربه فلا يذكره ولا يرد النعمة وفضلها إلى الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ كالفقر والمرض وموت الأحبة، والشقاق والفراق بين الأهل، كان يؤوسًا، أي: أنه قطع رجاءه من ربه، وقطع وترك التوسل إلى الله تعالى والرجوع إليه، وظن أن حاله لن يتبدل أبداً، فأصبح قانطًا من رحمة الله وفضله.

– قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: 11/ 10 – 11].

فهنا نرى أيضًا أن الإنسان بين القنوط أو العجب، ولا خلاص من هاتين الآفتين إلا بالصبر على الشدائد، والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وحسن الظن بالله تعالى، والأخذ بالأسباب.

والعمل الصالح في الرخاء، بشكر الله على نعمه، والعمل بما أنعم الله عليك به، إذا كان مالاً تتصدق به وتصل رحمك، وتفك دين المديون، وتفك عسرة وضيق

إخوتك في الله، وإن كانت النعمة علماً أعطاك الله إياه ووفقك إليه، فلا تبخل على إخوانك بتعليمهم وإرشادهم والنصح لهم.

- وهناك من لا يعرف ربه في الرخاء وعند وجود النِعَم، ولكن يتذكر ربه فقط عند الشدائد ونزول المصائب والمحن، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت: 41/ 51]، فهذا لا يشكر الله تعالى في الرخاء وليس له صبر في الضراء، لذلك جاء في آية هود - السابقة - : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: 11/ 11]، وهذا تحقيق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: 70/ 19 - 21].

- وعن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَه خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له» مسلم (2966)، عجباً - كلمة تقال على وجه الاستحسان، فالمؤمن في حالة الخير يرى ويعترف بنعمة الله عليه وفضله، فيشكره ويذكره ويعبده ويستزيده، وفي حالة العُسْر يرى قدرة الله في تغيير الحال؛ لأن الله سبحانه قادر ومالك ومتصرف، وهو الذي يدبر الأمر، فيلتجأ إليه ويتضرع إليه ويصبر ويدعوه وينتظر الفرج فهذا خير له.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: 28/ 76 - 77].

إليك ترتيب الأفكار: 1 - (كان من قوم موسى فبغى عليهم) أي: اعتدى عليهم بتكبره، وتعظيم نفسه، واحتقاره لهم وخذلانهم، وعدم مساعدتهم، وعدم سد عوزهم وجوعهم وفقرهم، وهو منهم وهم عشيرته.

2 - (آتيناه من الكنوز): العطاء من الله تعالى، والرزق من الله تعالى، والتوفيق من الله تعالى؛ (الهاء تعود إلى الله تعالى في: آتيناه).

3 - ومع إساءته لقومه وتكبره عليهم واحتقارهم وإذلالهم قدموا له النصح!

أ - (لَا تَفْرَحْ): لأن الذي بيدك هو من فضل الله عليك وتقديره لك.

ب - (وَابْتَغِ فِيمَا): تذكير بأن الغنى الذي معك هو مما أتاك الله، فحاول أن تتقرب إلى الله بهذا الغنى، فالدنيا فانية، وقصيرة الأمد، وإنما الحياة والفلاح والنجاح في الدار الآخرة.

ج - (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا): تمتع بالحلال، وتمتع بما أعطاك الله إياه.

د - (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ): تذكير آخر بأن ما معك هو من فضل الله وإحسان الله وكرم الله، فعامل الناس بمثل ما عاملك به الله تعالى من الإحسان.

هـ - (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ): لا ترتكب الحرام، ولا تكن متكبراً عاصياً جاحداً ولا تعِنْ على الباطل بمالك أو منصبك أو جاهك.

و - الملاحظة بأن نصيحة قومه كانت لتقويمه وإرجاعه إلى ربه وتذكيره بالله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) فنصيحة قومه كانت عظيمة وحكيمة ومتزنة جمعت بين الدنيا والآخرة.

وكأنهم قد رأوا وعاينوا مشكلته، وهي تكبره وتعظيمه لنفسه وترفعه عن الناس وإذلالهم واحتقارهم، بيّن ذلك من قوله: (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) برفضه السيء وترفعه وإذلالهم، فكانت نصيحتهم بتذكيره بربه بأنه هو المنعم، وتذكيره بأن لا يتكبر ولا يبطر بكثرة ماله، وتذكيره بالآخرة؛ لأن الدنيا فانية والدوام والحياة الأبدية هي للآخرة، وهذا لا يمنع من أن يتمتع الإنسان في دنياه بما رزقه الله تعالى، ولكن الهدف والمقصد هو الآخرة.

ثم الإحسان إلى الناس، وتذكير آخر له بإحسان الله له، وأمروه ونصحوه بعدم الفساد في الأرض، والفساد كلمة شاملة تشمل كل الأنواع التي يُبغضها الله تعالى والتي تخالف شرعه وأوامره، وتخالف فطرة الناس التي فطرهم الله عليها، والفساد نوعان:

– فساد في مخالفة شرع الله والفطرة السليمة، – ونوع في مناصرة الباطل والشرك والدعوة إليه.

فكان جوابه على هذا التذكير وعلى هذه النصيحة تكبر فوق تكبر، وجحود فوق جحود، فقد جحد حق الناس، وجحد حق الله تعالى عليه، ونسي المُنعم والمقدر والرازق، والعاطي، والواهب، فقال كلمته التي هوت به في الدنيا إلى قاع الأرض، وهوت به في الآخرة إلى مقر جهنم، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: 28/ 81].

وهذا درس كبير في القرآن الكريم مفصل أحسن تفصيل لعلة العجب والكبر... ولقد ذكر القرآن الكريم نماذج وصور أخرى عن التكبر كما في سورة لقمان ووصية لقمان لابنه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 31/ 18 – 19].

وتصعير الخد هو التِفَاتة كبر يفعلها الإنسان برأسه، أو يميل برأسه تعاظماً وتفاخراً أو استهزاءً بمن يقابله أو يكلمه. ويأمر لقمان ابنه بالتواضع الذي هو عكس التكبر، ولا تمشِ في الأرض مرحًا مختالاً فخوراً بما عندك، ولا ترفع صوتك غير مبالٍ بالناس ولا بالآداب العامة.

والتكبر هو المشكلة الكبرى التي بدأت وظهرت عند خلق آدم عليه السلام، عندما أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم. وعندها رفض إبليس السجود تكبراً

ورفعة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: 38/ 71 – 76].

هنا كان أول ظهور للكبر: أنا خير منه، والسؤال لماذا؟ خلقتني من نار وخلقته من طين. والآن لو سألنا المتكبر أنت خير من أي إنسان بماذا؟ فالأجوبة متعددة، وكل إنسان بحسب ما آتاه الله تعالى، فمنهم تكبره يكون بسبب 1 – علمه، 2 – ماله، 3 – نسبه وحسبه، 4 – منصبه، 5 – جماله، 6 – قوته، 7 – مهارته في شيء. وكل الأجوبة فاسدة، لأن التكبر مفسدة وضلال وجحود، لأنك تنسى أن الله سبحانه هو الذي جعلك تحقق ما حققته، والله الذي أعطاك الأسباب وهيأ لك المسببات، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 18/ 84 – 85]، فالله سبحانه وتعالى المقدر والواهب والعاطي والرازق. فلا تتكبر بشيء ولا تترفع على الناس ولا تفتخر عليهم، وكما قال ﷺ: «وقل اعملوا فكل ميسر لما خلق له» البخاري ومسلم.

– والصفة الرئيسة التي وصفها الله تعالى لأهل النار هي صفة الكبر، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 39/ 71 – 72]، تكبروا عن الانصياع لأوامر الله وشرع الله، تكبروا وتفاخروا بما لديهم من قوة ومال ومناصب وثروات. أو أنهم تكبروا حسداً؛ لأنهم يفتقرون للذي عندك بما أنعم الله به عليك، فما له إلا التكبر ليجبر نقصه، وما له إلا التعالي والجحود.

ولا يريد الاعتراف بالحق، لأن اعترافه بالحق لك يُعَدُّ في نفسه منقصة له ومذلة، وتقليل من قيمته أو سمعته أو علمه، وهذا هو الكبر بعينه، في عدم الانصياع للحق. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: 40/ 56]، فنعوذ بالله من الكبر ونعوذ بالله من الجحود، لذلك في حديث سيد الاستغفار قوله ﷺ: «أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي» البخاري.

أعترف لك يا رب بكل نعمة أنعمتها علي وكل فضل فضلته علي، وأعترف بذنوبي وتقصيري يا رب، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفُجَاءَة نقمتك وجميع سخطك» مسلم (2739)، اعتراف منك بفضل الله ونعمته، ودعاؤك لله تعالى بعدم زوالها، فهو سبحانه الذي يعطي ويمنع، والعافية منه سبحانه، ونعوذ بالله من غضبه وسخطه علينا بسبب ذنوبنا وتقصيرنا وإسرافنا في أمرنا، آمين يا رب العالمين.

وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل: 16/ 53]، نِعَمْ الله الظاهرة والباطنة، نِعَمْ الله أيّاً كانت، كل النِعَمْ من الله تعالى، وهو الذي يتفضل على عباده بنِعَمْ دون نِعَمْ، وبفضل دون فضل، وميزة دون ميزة، كله من فضل الله. عِلْمُنا بهذا وإيماننا بهذا وثقتنا به سبحانه يدعونا إلى الالتجاء إليه دائماً وأبداً؛ 1 – في الحفاظ على هذه النعم، 2 – وفي دفع الضّرّ عنا إذا وقع وإذا لم يقع.

لذلك كان عليه الصلاة والسلام يعلّمنا من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قوله ﷺ: «اللهم إني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم» صحيح ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم.

فلا تفخر يا عبد الله بعلمك وتقواك، ولا تفخر بمالك وغناك، ولا تفخر

بمنصبك وحسبك ونسبك ولا تفتخر بأن لك أولاداً جيّدين علماء مثقفين، ولا تحط من قدر غيرك ممن هو أقل منك علماً وجاهاً ومالاً وأولاداً. فأنت لا تعلم مصير الناس ولا تعلم مكانتهم عند الله، واعلم أن من أعطاك قادر على أن يمنعك، واعلم أن من أعطاك قادر على سلب ما هو بيدك، واعلم أن الخيرية هي فيما اختاره الله، والخير والحسنة هو ما وافق ما يحبه الله ويرضاه، فلما قال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: 7/ 21، ص: 76] مشكلته أن جعل النار خيراً من الطين، فما أدراه بذلك؟ وهل هذا صواب؟ وظنه هذا جعله متكبراً، وتكبره جعله يرفض أمر الله تعالى، فكان في ذلك هلاكه، والعياذ بالله، وقد يكون العالم متكبراً فيهوي بعلمه ولا يجازى عنه، وإنما يكون إثماً عليه. لذلك علينا الاعتراف بفضل الله ونعمه، وطلب الاستزاده من هذه النعم، ونطلب من الله أن لا يسلبها منا، ونطلب من الله أن يعيننا في صرف هذه النعم لجلب مرضاته ورحمته.

أعود إلى حديث النبي الكريم ﷺ عندما قال: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» البيهقي - البزار.

هذه الصفات التي ذكرها رسول الله ﷺ درسها علماء النفس اليوم ووصفوها بأنها الشخصية النرجسية، وقالوا بأن صفاتها: 1 - شعور مبالغ به بأهمية الذات، 2- يشعرون بأن لهم الحق في أن يكونوا متميزين وأن يكونوا محط الإعجاب، سواء أكان لهم إنجازات أم لم يكن لهم أي شيء يستحق الذكر، وإذا كان لهم إنجازات ومواهب فدائماً يتحدثون عنها ويبالغون فيها، أو حتى أنهم يتوهمون نجاحات لم تحصل، 3 - ويرون أنفسهم بأنهم لا يصاحبون إلا النخبة من القوم، ويتكبرون على عوام الناس، ويشعرون بالمهانة إذا جلسوا أو تكلموا أو أكلوا مع عوام الناس، لأنهم أرقى مستوى وثقافة ومكانة، فهم لا يُذلّون أنفسهم مع التعامل أو مصاحبة من يعتقدون بأنه ليس من مستواهم، 4 - دائماً هم الذين يتحدثون ويرفضون ويناقشون ويؤيدون أو يعترضون بعلم أو بغير علم حتى يكونوا محط الأنظار ومحور الاجتماع حتى لو

احتاجوا إلى احتقار الآخرين، 5 - يستغلون الناس ويستغلون سمعتهم ومكانتهم لتحقيق مآربهم الشخصية، فهم المركز والناس تدور حولهم، وهم المُهِمُّون والناس لا قيمة لهم بالنسبة إليهم، أنانيون لأقصى درجة ويتصرفون بعجرفة وتكبر، 6- يحاولون دائماً الحصول على أفضل الأشياء من ملبس ومسكن ومركوب؛ لأن المظاهر خداعة وتخدم مصالحهم والناس ضعفاء أمام المال والجمال والمنصب، 7 - يغضبون وترتفع أصواتهم عندما لا يجدوا معاملة خاصة، ولا يستطيعون ضبط مشاعرهم وسلوكياتهم ويواجهون مشاكل نفسية وعصبية إذا وقعوا تحت ضغط، أو واجهوا مشاكل وصعوبات، 8 - اعتقادهم دائماً بأنهم على صواب ومن يخالفهم هو المخطئ ويعتقدون في أنفسهم الكمال والنموذج الأمثل، فإذا نظرنا إلى الحديث الشريف نرى أن الشح المطاع هو وصف للأنانية ووصف لأنهم هم الأهم والدنيا كلها تدور حولهم فلا يعينون أحداً ولا يساعدون أحداً. (وهوًى مُتَّبع) طبعاً لأنهم أصحاب الصواب والكمال في كل شيء، ولا يخطئون فآراؤهم هي التي يجب أن تتبع، وإعجاب المرء بنفسه تشرح ما بقي من الصفات المذكورة، قال ﷺ: «اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماء بعضهم واستحلوا محارمهم» رواه مسلم، فالشح يؤدي إلى الحقد والحسد والبخل والتكبر ويتمنى زوال النعمة عن الغير، واستئثاره بكل الخير، أما (الهوى المُتبع) فهو ميل النفس إلى تحقيق شهواتها ونزواتها وعدم الاكتراث بالحرام والحلال، قال ﷺ: «إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى» حم - صحيح الترغيب والترهيب، والمتبع هواه لا يقبل حقاً ولا يقبل مناقشة ولا يريد فهماً، مقتنع برأيه؛ لأنه يرى نفسه الأذكى والأفهم والأعلم، ولا أحد يملك أو يعرف ما يعرفه هو. والله تعالى قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 28/ 50]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: 38/ 26].

ولما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾؛ جاءه العقاب: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾؛ لأنه نسيَّ المُنعم والقادر والرازق. وتتجلى شخصية المتكبر في سورة البقرة، وهو صاحب الجنة الذي آتاه الله الخير والماء والشجر والثمر. 1 – تجلى تكبره بقوله: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف: 18/ 34]. وتذكر مقولة إبليس: (أنا خير منه)، 2 – تكبره وتفاخره بماله وأرضه وثمره: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الكهف: 18/ 35]، 3 – تأليه على ربه سبحانه وتعالى وثقته بماله وغناه: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف: 18/ 35]، 4 – نهاية التكبر والغرر والإعجاب بالنفس يؤدي إلى الكفر: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: 18/ 36]، 5 – ثم التناهي والغلو في التكبر والغرور حتى لو أن هناك قيامة ورجوع إلى الله فسوف يعطيني في الآخرة أكثر مما أعطاني في الدنيا. لماذا؟ لأنه يستحق ذلك، ولأنه أهل لذلك وهو تميّز عن الآخرين، ولم يطلب من الله ولم يتضرع ولم يثبت النعمة إلى الله، وإنما تألي وغرور وإعجاب بالنفس، ولما جاءت المصيبة وعرف مكانه وأنه ليس قادراً على شيء وأن الملك لله هو الذي يأخذ وهو الذي يعطي قال: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 18/ 42].

مصيبة المصائب هو (الأنا) والغرور والعجب، ولو أننا عرفنا صفات الله تعالى وأن كل شيء بقدر يقدره الله تعالى، وأنه ليس لي من الأمر شيء، لكُنّا تخلينا عن الكبر والغرور ، فإذا رزقنا الله تعالى شكرناه وعبدناه وعرفنا حق النعمة وحق الله فيها، وحق الناس، وطلبنا من الله المزيد، وإذا كنا في ضائقة أيضاً شكرناه وعبدناه وتضرعنا إليه وتوسلنا إليه واجتهدنا في الدعاء وفي الطاعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم